التداخل بين دلالات الاستفهام في سورة الأنعام

د. عزيز سليم القرشي
جامعة واسط / كلية التربية

الاستفهام

تنماز اللغة العربية بأساليب عدة، ولكل أسلوب منها طريقته ودلالته الخاصة به، كأسلوب الشرط، وأسلوب التعجب، وأسلوب المدح والذم، وغيرها من الأساليب.

وأسلوب الاستفهام من الأساليب المهمة في اللغة العربية، لأنه أسلوب يطلب به العلم بشيء مجهول، ولذلك كان الاستفهام سبّاقاً فعلياً يقتضي طلب الفعل ويطلبه [١]، قال ابنُ يعيش: (اعلم أنَّ الاستفهام يقتضي الفعل ويطلبه، وذلك من قبل أن الاستفهام عمله في الحقيقة، إنما هو عن الفعل، لأنك إنما تستفهم عمَّا تشك فيه وتجهل عمله ...)[٢].

ويعدُّ أسلوب الاستفهام من الإنشاء الطلبي، الذي فطن له أوائل النحاة والبلاغيين، من أمثال سيبويه والمبرد وغيرهم[٣].

والدّارس لأساليب الطلب في اللغة العربية والقران الكريم يتّبين له أنَّ أسلوب الاستفهام ينقسم على قسمين: استفهام حقيقي، واستفهام مجازي. والاستفهام الحقيقي قليل في القران الكريم [٤]، يقول السيوطي: (وما جاء في القران على لفظ الاستفهام، فإنما يقع في خطاب الله على معنى أن المخاطب عنده علم ذلك الإثبات أو النفي)[٥].

فالاستفهام لا يكون حقيقياً إلاّ إذا كان لفظه الظاهر موافقاً لمعناه الباطن عند السؤال عمَّا لا تعلمه. أما إذا كان المقصود به غير طلب الفهم الذي هو الاستفهام عن شيء لم يتقدم له به علم حتى يحصل له به علم، فهو الاستفهام المجازي[٦].

تعريفه

الاستفهام لغةً: (طلب الفهم) وهذا ما اتفق عليه أصحاب المعجمات، جاء في لسان العرب: (فَهم وفَهم، وأَفْهمه الأمر، وفَهَّمه إياه: جعله يفْهمه. وأَستَفْهمه: سأله أَن يفهمه. وقد استفهمني الشيء فأفهمته وفهَّمته تفهيماً)[٧].

أماَ الاستفهام في المعنى الاصطلاحي، فقد عرفه الشريف الجرجاني بقوله:(وهو طلب حصول صورة الشيء في الذهن، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين، أو لا وقوعها، فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور)[٨].

اذن فالاستفهام هو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل بأدوات خاصة به، وهذا ما يطلق عليه الاستفهام الحقيقي[٩]، أما الاستفهام البلاغي (المجازي) فهو: ذلك الاستفهام الذي لا يراد به إجابة ما عن شيء، وإنما يراد به التعبير عن نفس القائل تعبيراً مؤثراً بأحد الأغراض التي يخرج إليها[١٠].

وخلاصة القول: إن الاستفهام عن شيء يجهله السامع هو ما يطلق عليه الاستفهام الحقيقي، أما إذا كان السامع ناكراً له مع علمه به، فهو استفهام مجازي، وقد زخر القرآن الكريم بالاستفهام المجازي، وهو أكثر شيوعاً فيه من الحقيقي.

أدوات الاستفهام

قسم النحاة أدوات الاستفهام على قسمين هما:-

١- حرفا الاستفهام: وهما (الهمزة) و (هل)؛ فالهمزة بالاصالة وهل بالنيابة، والهمزة أوسع أدوات الاستفهام استعمالاً، وهي أُمُّ باب الاستفهام[١١].

٢- أسماء الاستفهام وهي: (من، ما، ماذا، أيَّان، أين، كيف، أنَّى، كم، أي).

وقد اتفق العلماء على أن أدوات الاستفهام تنقسم بحسب التصور والتصديق على ثلاثة أقسام[١٢]:

١- ما يطلب به حصول (التصور) تارةً و(التصديق) تارةً أخرى وهي (الهمزة).

٢- ما يختصُّ بطلب حصول (التصديق) فقط، وهو (هل).

٣- ما يطلب به حصول (التصور) فقط، وهو سائر أدوات الاستفهام التي لا يكون السؤال بها إلا عن المفرد الذي يكنى بها عنه [١٣].

ويخرج الاستفهام من دلالته الحقيقة إلى دلالة مجازية، فيدلُّ على معانٍ كثيرة ومتنوعة، وسنقتصر هنا على ما ورد في سورة الأنعام من أساليب الاستفهام ودلالته.

أولاً – الإنكار

وهو إنكار على من ادعى وقوع الشيء، والمعنى أن ما بعده واقع جدير بأن ينفى[١٤] . وقيل: هو بيان أنَّ الفعل لا ينبغي أن يكون؛ لأنه موضع إنكار شرعاً وعرفاً[١٥]، وهو على قسمين:-

١- **إنكار التوبيخ :** ويقتضي أن المخاطب فعل فعلاً يستلزم توبيخه عليه وتقريعه، وهو بمعنى ما كان أن يكون[١٦]، ومنه قوله تعالى: **(ويوم نحشرهم جميعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ)** [١٧].

تقدمت الجملة الخبرية **(ويوم نحشرهم)** الموجبة لحالة الكافرين وهم أمام العدالة الإلهية، لتكون بمثابة تمهيد لطرح حالة الاستفهام **(أين شُرَكَاؤُكُم)** المفضية إلى حالة من التوبيخ والتقريع والتهجين بالإشراك الموجه للكافرين المعاندين[١٨]. ويبدو أن التركيز على لفظة (الشركاء) دون غيرها دالة على إسقاط الحالة الهرمية الكبرى (الأصنام) التي كان الكفار يعتدون بها، قال الزمخشري:

(ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة، فكأنهم غيَّب عنهم، وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ... فيروا مكان خزيهم وحسرتهم)[١٩].

فالنص القرآني يفضي إلى سيرورة إسقاط الحالات الأخرى الأقل شأناً، ليومي النص في النهاية إلى حالة الخير التي أحبط بها الكافرون، وان ارتباط الفعل **(تَزْعُمُونَ)** بالاستفهام، ومجيئه بالحالة المضارعة أفضى إلى التجسيد الحي لحالة التخبط والخسران التي أصبح عليها الكافرون[٢٠].

وكذلك ما ورد في قوله تعالى: **(وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا**

بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ)[٢١]، إذ يتقدم النص القرآني الفعل (ترى) مضارعاً لينقل حالة التجسيد الحضوري لأشياء لم تحدث، وذلك رغبة في التصوير، ونقل حالة التهويل التي كشف عنها الخطاب القرآني الذي ظهر فيه الاستفهام (**أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ**) ، بوصفه حالة مفضية إلى التوبيخ القاسي المرتبط بحالة الإنكار التي لا تهدف إلى طلب الجواب بقدر ما تهدف إلى التقريع بالدلالة؛ قال البيضاوي في تفسيره عن الهمزة أنها: (للسؤال والتوبيخ ... كأنه جواب قائل قال: ماذا قال ربهم حينئذ؟ والهمزة للتقريع على التكذيب)[٢٢] وان اعترافهم بالذنب (**قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا..**) يقتضي الجزاء العادل بتقرير العذاب (**فَذُوقُوا الْعَذَابَ**) الذي جاء من خلال الفعل الماضي الدال على المضي والانتهاء من حلول العذاب وانتفاء المغفرة [٢٣].

إنكار التكذيب : وهو إنكار على من ادعى وقوع الشيء، والحق انه غير واقع، وهو الذي يفيد النفي، ويسمى أيضا إنكار إبطالي أو النفي الإنكاري[٢٤]. وقد ورد الاستفهام دالاً على النفي الإنكاري في قوله تعالى: (**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**)[٢٥]؛ إذ يطرح الاستفهام في النص القرآني المتقدم حالة من الخروج المجازي الإنكاري، فـ(همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو (**أَتَّخِذُ**)، لأن الإنكار في اتخاذ غير الله ولياً لا في اتخاذ الولي)[٢٦]، فالاستفهام إنكاري باعث على النفي القطعي لوجوبية اتخاذ إله بديل لخالق السماوات والأرض[٢٧] إذ أنها حالة تدخل المتلقي العامل بها للعبثية بدلالة الجمل الخبرية (**فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**) و (**وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ**) فهذا يعني تنزيه القلب عن الالتفات لغير الله سبحانه وتعالى.

ولما كانت مسألة الولاية الإلهية محسومة، جاء الاستفهام الإنكاري بأقصر أدواته وهي (الهمزة) للمسارعة بنفي الحلولية الباطلة لغير الله (سبحانه وتعالى)، وإن التساوق الدلالي قد عمد إلى ربط جمل متسلسلة بتآزر حتى يصل إلى الدلالة،

والظاهر من خلال فعل الأمر (**قُل**) الدال على المسارعة والقصر والحدة في نفي الحالة المتقدمة، مضافاً إلى ذلك أن الاستفهام يقتضي توبيخاً للذين يتخذون غير الله معبوداً؛ إذ يقول أبو حيان الاندلسي: (يقول لهم ذلك على سبيل التوبيخ لهم ، من هذه صفاته يتخذ ولياً وناصراً ومعيناً، لا الآلهة التي لكم)[٢٨].

وكذلك ورد دالاً على النفي الإنكاري في قوله تعالى: (**قُل أَيُّ شَيءٍ أَكبَر شَهادَةً قُلِ اللَّهُ شَهيدٌ بَينِي وبَينَكُم وأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ ومَن بَلَغَ أَئِنَّكُم لَتَشهَدونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخرى قُل لا أَشهَدُ قُل إِنَّما هُوَ إِلَهٌ واحِدٌ وإِنَّني بَريءٌ مِمَّا تُشرِكونَ**)[٢٩]، فقد أمرَ الله (سبحانه وتعالى) نبيه أن يسألهم عن اكبرَ الأشياء من حيث الشهادة فحمل الخبر على نوع من العيان، وأداء ما تحمل[٣٠]، إذ يتقدم الفعل (**قُل**) لخلق حالة من المحاورة والإيناس الموجه للمتلقي، ثم تأتي أداة الاستفهام (**أَيُّ**) لتخرج إلى دلالة النفي الإنكاري، لوجود شهادة اكبر من شهادة الله (عز وجل)، ويبدو أن هذا الاستفهام جاء لتقرير حالة حتمية (لا وجود لشهادة اكبر من شهادة الله) وان هذا الظهور الاستفهامي الموحي ظاهرياً بطلب الجواب ما هو إلا حالة من الإقناع الناجم عن المحاور التي تهدف إلى إركاز الحجة الربانية بيسر وسهولة[٣١] .

والملاحظ في النص القرآني أن أداة الاستفهام (**أَيُّ**) التي دلّت على النفي الإنكاري قد قفاها الله سبحانه وتعالى بأداة استفهام أخرى وهي (الهمزة) التي دلّت على التوبيخ والتقريع والإنكار من فعل المعاندين؛ إذ يقول أبو حيان الاندلسي: (وهذا الاستفهام معناه التقريع لهم والتوبيخ والإنكار عليهم)[٣٢]، فهذا توبيخ لهم وإنكار واستبعاد لزعمهم أن مع الله (سبحانه وتعالى) إلهاً آخر بعد وضوح الأدلة والبراهين[٣٣].

وكذلك ما ورد في قوله تعالى : (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ**

عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)[٣٤] فحين كان الطَرح القرآني في مجال الكَفر والإلحاد الموجه من العَبد لخالقه، أصبح توجيه السياق حاملاً غرض الدعوة إلى النزول على حكم العقل السليم، وخفض الجناح لصريح الحق، فكأنه يقول: قل لهم يجب علي وعليكم أن لا نستكبر على الحق، ولا نستعلي على الله تعالى بارتكاب ما هو اشد الظلم، وهو الكذب على الله[٣٥]. ولهذا يأتي الاستفهام بمثابة طرح قوي حاملاً للحدة (**ومن أَظْلَم**) و (**ومن قَال**) ليخرج إلى أسلوب مجازي للإنكار والنفي المحمل بالتهويل، يقول الطبرسي: (هذا استفهام في معنى الإنكار)[٣٦]، أما صاحب صفوة التفاسير فيقول: (استفهام معناه النفي)[٣٧] فالمعنى : أن الاستفهام في النص القرآني الكريم دلَّ على النفي الإنكاري، أي: لا احد اظلم ممن كذب على الله وافترى، فجعل له شركاء وأنداداً [٣٨] .

وكذلك جاء النفي الإنكاري[٣٩] في قوله تعالى : (**فَمَنْ أَظْلَمُ ممَّن افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**)[٤٠] أَي: لا احد اظلمَ ممَن افترَى على اللهَ الكذبَ، فنسب إليه تحَريم ما لم يحرمَه الله (سبحانه وتعالى)، فلم يقتصر على افتراء الكذب بحق نفسه وضلالها حتى قصد بذلك ضلال غيره، فسنَّ هذه السنة الشنعاء وغايته إضلال الناس، فعليه وزرها ووزر من عمل بها[٤١] .

ومنه قوله تعالى دالاً على النفي الإنكاري[٤٢]: (**فَمَنْ أَظْلَمُ ممَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ آيَاتِنَا سُوءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ**)[٤٣] أي: لا احد اكفر من كَذب بآيَات الله، ولم يؤمن بما انزَل على الرسولَ محمد (صلى الله عليه واله وسلم).

وكذلك نجد الهمزة في قوله تعالى : (**قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ**

بما كُنْتُمْ فيه تَخْتَلفُونَ)[٤٤] التي يتقدمها الفعل (**قُل**) الدال على الحدة والقوة الناجمة عن قطعَ الَحركةَ، والاستفهام المتمثل بالأداة (الهمزة) المتسارعة لنفي ذلك عن الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) والمؤمنين، وتقديم (غير) على لفظ الجلالة، فيه دلالة على تهويل الموقف وإبعاد إمكانية الحصول باتخاذ غير الله سبحانه وتعالى رباً.

ومنه أيضاً قوله تعالى: (**هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ**)[٤٥] فالاستفهام خرج إلَى النفي الإنكاري، لان الإتيان المفهوم فيَ اللغة مستحيل في حق الله تعالى[٤٦].

وقد يأتي الاستفهام متجاوزاً النفي الإنكاري ليعطي بعداً دلالياً للمتلقي، وهذا ما ورد في قوله تعالى: (**وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**)[٤٧]؛ فالآية الكريمة في عمومها توبيخ لحالة المنافقين الذين يصدون عن ذكر الله ولا يعتبرون بالدلائل، مطالبين بآيات فردية خاصة بهم[٤٨]، ويأتي الاستفهام الإنكاري (**وما يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ**) ليعطي بعداً إيحائياً يتجاوز الإنكار والنفي ليدخل المتلقي في تفكير ووقفة للنظر في حال هؤلاء المنافقين[٤٩]، فالمعنى: ألا تدرون أنهم لا يؤمنون، أنكر السبب مبالغة في نفي المسبب، وفي الآية تنبيه على أن الله سبحانه وتعالى لم ينزلها لعلمه بأنها إذا جاءت لا يؤمنون بها[٥٠].

وقد يبدو في بعض أساليب الاستفهام أن المتكلم ينكر الأمر وينفيه عن نفسه في الظاهر، وإن كان المقصود منه إنكاره على الآخرين، يريد بذلك التلطف في النصح، وعدم مواجهة المخاطبين بالإنكار حتى لا ينسب القبح إليهم فيثير غضبهم[٥١]، ومنه ما ورد في قوله تعالى : (**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ**

الْممتَرِينَ)[٥٢]، إذ تتقدم النص القرآني أداة الاستفهام (الهمزة) للإسراع والتنبيه على خطورة طلب غير الله حكماً، ويكون ارتباط الفعل المضارع بالاستفهام الدال على الإنكار لنفي وجود هذا الشيء قديماً ومستقبلاً، أي: يريد أغير الله تبتغون بدليل قوله : **(وهُوَ الَّذي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكتَابَ مفَصَّلًا)**[٥٣] .

التداخل الدَلالي في الاستفهَام:

إن الاستفهام في القرآن الكريم قد تختلف طبيعة الإنكار فيه باختلاف أدوات الاستفهام، مما يؤدي إلى اختلاف دلالاتها وامتزاج بعض الدلالات مع دلالات أخرى تبعاً للسياق، وهذا ما يظهر واضحاً في كثير من النصوص القرآنية، إذ أن الاستفهام الإنكاري التوبيخي والنفي الإنكاري قد يمتزج مع التقرير والتعجب، وقد يكون النفي مرتبطاً بالتوبيخ، ومن أمثلة هذه الدلالات[٥٤] :

النفي الإنكاري والتوبيخ

ورد الاستفهام دالاً على النفي الإنكاري والتوبيخ في قوله تعالى: **(وَمَنْ أَظْلَمُ ممَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّه كَذبًا أَوْ كَذَّب بآياته إنَّه لَا يُفْلحُ الظَّالمونَ)**[٥٥] إذ بين الله سبحَانه وتعالى ما يلزمهَم مَن التوبيخ والتهجَين والإشراكَ، لأن لَا احد اظلم ممن كذب على الله أو كذب بآيات الله[٥٦]، إذ يقول الزمخشري: (جمعوا بين أمرين متناقضين، فكذبوا على الله بما لا حجة عليه، وكذبوا بما ثبتت الحجة البينة، والبرهان الصحيح)[٥٧].

النص القرآني تتقدمه أداة الاستفهام (من) التي تدلُّ على العاقل لترتبط بحالة مجازية النفي والتوبيخ، لحالة من يكفر برب العالمين، لتحرف سياق النص إلى حالة متقاطعة مع دلالات (من)، فمن يكفر بالله يعدُّ في حيز (غير العاقل) بعد ظهور البراهين[٥٨] ، فالاستفهام قد دلَّ على النفي الإنكاري والتوبيخ، لأنه لا احد اظلم ممن اختلق على الله الكذب والتوبيخ على فعلهم بعد ثبوت الأدلة[٥٩]، وقد تلتقي (من الاستفهامية) بدلالة أخرى هي دلالة التعجب من إمكانية وجود شخص عاقل يكفر بآيات الله وهو يعلم انه جبار السماوات والأرض.

منه قوله تعالى: (**قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**)[٦٠]، فلما كان النص القرآني الشريف يمثل دعوة لمشاركة العقل في فهم الدين، وإشعار حقيقة الوجود الرباني، وسلوك طريق الخير، وترك الشر، يأتي الاستفهام (**هل يستوي الأعمى**) ليدخل العقل الإنساني بين موازنة بين المتناقضين (الأعمى – البصير) اللذين يخرجان إلى دلالات إيحائية مفادها الحكم في الإطار العقلي المنطقي[٦١] ، والنص القرآني خارج سلفاً إلى النفي على أساس العقل والمنطق. ثم تأتي أداة الاستفهام (الهمزة) رغبة في المسارعة والحدة ، ليخرج في مجال التنبيه والتوبيخ والتقريع ، فإن الاستفهام هنا فيه (تقريع وتوبيخ)[٦٢] والجملة الاستفهامية الثانية جاءت لتقرير حالة الانجماد العقلي لهؤلاء المعاندين (**أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ**) ليدخل في مجال التوبيخ والدعوة إلى التفكير بقوة، وقد أشار الطبرسي إلى أن دلالة الاستفهام في النص القرآني يراد بها الإخبار، إذ يقول: (وهذا الاستفهام يراد به الإخبار يعني أنهما لا يستويان)[٦٣] ويمكن أن نفهم من سياق النص أن الاستفهام يدلُّ على النفي أكثر من الإخبار والله اعلم.

الإنكار التوبيخي والتعجب

وقد جاء دالاً في قوله تعالى : (**قل أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**)[٦٤] فالنص القرآني يدخل عن طريق همزة الاستفهام الدالة على السرعة، ليدخلَ في باب الإنكار التوبيخي الممزوج بالتعجب ، إذ يقول أبو حيان الاندلسي: (وهذا استفهام بمعنى الإنكار)[٦٥] فالمعنى: أنعبد من دون الله النافع الضار ما لا يقدر على ضرنا، ونردُّ على أعقابنا راجعين إلى الشرك[٦٦]، ويشير محمد علي الصابوني إلى أن الاستفهام للإنكار التوبيخي، إذ يقول:

(الاستفهام للإنكار والتوبيخ)[٦٧] والذي أراه أن الاستفهام يخرج للإنكار التوبيخي المرتبط بالتعجب من إمكانية عودة الإنسان المؤمن بعد ظهور الدلائل والبراهين إلى الكفر ، فيكون تعجباً من هؤلاء، فضلاً عن الإنكار، لأن النص يدلُّ على استنكارهم من ترك عبادة الرحمن[٦٨] .

وكذلك جاء في قوله تعالى: **(وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِي وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)**[٦٩] إذ تتقدم الجَملة الخبرية **(وحاجَّه قومه)** لتلقي بالمستمع في أجواء من الارتباط الوجداني، ثم بعد إخبارية القصة يظهر صوت النبي إبراهيم (عليه السلام) **(أَتُحَاجُّونِّي)** التي تخرج إلى الإنكار الممزوج بالتعجب، فأجابهم منكراً لهم: إن ربي آتاني العلَم بما أراني من ملكوت السماوات والأرض وألهمني بذلك حجة انفي بها ربوبية غيره من الأصنام[٧٠]. وان الجملة الخبرية التفسيرية إن صحَّ التعبير تبين مبررات التعجب والإنكار **(وَقَدْ هَدَانِي)**، وقوله: **(أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ)** استفهام للتوبيخ[٧١] أي : أفلا تعتبرون وتتعظون، وفي النص القرآني دلالة مفادها التنبيه لهم من غفلتهم التامة حيث عبدوا ما لا يضر وينفع، وأشركوا مع ظهور الدلائل والبراهين[٧٢].

وورد في قوله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ)**[٧٣] في النص الكريم دَلالات مَن عجائب الخَلق الَتي لا يملكَ صنعها إلا الله وحده (جلَّ وعلا)، ولا تنفك عن الدلالة على وجود الله وعظمته[٧٤] . فتتقدم الجملة الخبرية لبيان صفات الله سبحانه وتعالى بأسلوب الطباق البلاغي الذي يجتمع فيه الإعجاز ويدخل الاستفهام في مجاز الإنكار والتوبيخ (والمقصود الإنكار على تكذيبهم بالحشر والنشر)[٧٥] فالمعنى : تصرفون عن الحق، ويذهب بكم عن هذه الأدلة الظاهرة إلى الباطل، أفلا تتدبرون فتعلمون انه لا ينبغي أن نجعل لمن انعم عليكم بهذه النعم شريكا في العبادة [٧٦] فضلاً عن دخول الاستفهام في باب التعجب من فعلهم بعد ثبوت الأدلة لهم بان الله

المدبر الخالق، وقد جاءت أداة الاستفهام (**أَنَّى**) بمعنى (كيف)[٧٧]. وتختلف الأداة (**أَنَّى**) عن (كيف) في الدلالة من حيث أن الأداة (**أَنَّى**) تكون لها السعة في المعنى، والقوة في الاستفهام.

وكذلك دلَّ على الإنكار التوبيخي المشوب بالتعجب في قوله تعالى : (**وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**)[٧٨] فَالاستفهام خرجَ إلى الإنكار الممزوج بالتعجب، وكأنه قال: ما لكم تنكرون عليَّ الأمن في موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم إلا في موضع الخوف، والملاحظ في السؤال لهم أن الاستفهام يمتزج بنوع من التنبيه والتوبيخ لهم، والإقناع بعد الإنكار[٧٩] ثم يتعجب من فساد عقولهم إذ عبدوا الحجارة التي لا تضرُّ ولا تنفع ، وهذا ما أشار إليه أبو حيان الاندلسي بقوله: (استفهام معناه : التعجب والإنكار)[٨٠] .

الإنكار والتّهكم

ورد في قوله تعالى: (**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ**)[٨١] فلما كانَت مقولَة الكَافرين باطلة، وغير موجهة توجيهاً عقلياً كان الطرح قوياً، فجاء بالفعل (**قُل**) حاملاً للقوة المطلقة من الحدة في السكون والقطع المتمثلة مع السياق، ثم يأتي الاستفهام ليوجه نحو الإنكار والتهكم مع امتزاج بدلالة التحدي لهم بدليل (**عِندَكُم**) على حجتهم (**مِنْ عِلْمٍ**)[٨٢] يقول محمد علي الصابوني في تفسيره: (استفهام إنكاري يقصد به التهكم ، أي: قل لهم هل عندكم حجة أو برهان على صدق قولكم؟)[٨٣].

وكذلك جاء دالاً على الغرض الدلالي نفسه في قوله تعالى : (**ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**)[٨٤] إذ أن النص القرآني يدخل في باب

التحليل والتحريم ، لان أهل الجاهلية كانوا يحرمون ما لم يحرم الله ورسوله (صلى الله عليه واله وسلم)، وقد ورد الاستفهام الدال على إنكار ما كانوا يدعون، وأنكم لا تقرون بنبوة نبي، ولا تعرفون شريعة شارع، فكيف تحكمون بان هذا يحلُّ، وان ذلك يحرم؟[٨٥] فالاستفهام دلَّ على إنكار ما كانوا يفعلونه محملا بالتوبيخ والزجر والاستهزاء من فعلهم[٨٦]. أما ما ذهب إليه أبو حيان الاندلسي بقوله: (وهذا استفهام إنكار وتوبيخ وتقريع؛ حيث نسبوا ما حرموه إلى الله تعالى، وكانوا مرة يحرمون الذكر، ومرة أخرى الإناث، ومرة أولادها ذكوراً أو إناثاً أو مختلطة)[٨٧] وقد كرر الله (جلَّ وعلا) النص القرآني (**ومن الإبل اثْنَيْنِ ومن الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ**)[٨٨] دلالة على المبالغة في التوبيخ والتهكم والتقريع والاستهزاء من فعلَهم.

وكذلك جاء في قوله تعالى: (**وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ بينهم ليَقُولُوا أَهَؤُلَاء مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**)[٨٩]، إن الاستفهام في النص القرآني خرج للإنكار؛ إنكار أن لا يكون أمثالهم على الحق وممنوناً عليهم من بينهم بالخير[٩٠] . وهذا الاستفهام مصحوب بالتهكم والاستهزاء، لأنهم لا يسخرون إلا ممن يستحقرون أمره ويستهينون موقعه في المجتمع، ولم يكن ذلك إلا لفقرهم ومسكنتهم وانحطاط قدرتهم عند الأقوياء منهم[٩١]، إلا أن قوله تعالى: (**أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ**) هو جواب عن استهزائهم المشين على الاستبعاد، والاستفهام للتقرير، أي: الله اعلم بمن يشكر فيهديه [٩٢] .

ثانياً – التقرير

وهو إثبات المستفهم عنه[٩٣]، ولا يختص بالنفي بل يقع بعد الإثبات والنفي[٩٤]، فالتقرير هو حمل المخاطب على الإقرار أو الاعتراف بأمر قد استقرَّ عنده ثبوته أو نفيه [٩٥]، وحقيقة استفهام التقرير إنكار، والإنكار نفي ، وقد دخل على النفي ، ونفي النفي هو إثبات[٩٦] .

وقد ورد في قوله تعالى: **(وَما قَدَروا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جاءَ بِهِ مُوسى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ)**[٩٧]، إذ تتقدم الجملة الخبرية الدالة على التعجب من موقف اليهود الناكرين للرسالة السماوية والأنبياء، ليظهر مدى الضلال الذي هم فيه، من خلال قوله تعالى:

(ما أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى ...) ثم تأتي أداة الاستفهام الدالة على التقرير في قوله تعالى: **(قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ ...)**، وان هذا السؤال الموجه للعاقل لمن يؤمن بنبوة موسى عليه السلام والتوراة [٩٨] وهو أشبه بالحجة الدامغة الموجه للإنسان الجاهل الناكر للحق. وقد يصاحب غرض التقرير كثير من الأساليب التي يخرج إليها الاستفهام، أو ما يسمى التداخل الدلالي بينه وبين الاغراض الدلالية الأخرى، ومن أمثلته هي:

التقرير والتوبيخ

وقد ورد في قوله تعالى : **(أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ما لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّماءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَاراً وَجَعَلْنَا الْأَنْهارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْناهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْناً آخَرِينَ)** [٩٩]، وفيها يظهر الاستفهام في الآية القرآنية خارجاً إلى دلالة مَجازية وهي التقرير الذي يهدف إلى اركاز الحالة المنظورة من قبل الكافرين، وهي إهلاك الأمم السابقة المعاندة لإرادة الرحمن[١٠٠] . ويبدو أن الاستفهام يرتبط ويتواشج مع خروج مجازي أخر هو التوبيخ والتقريع للأمم الحاضرة التي لا تعتبر بالأمم السابقة.

وتظهر دقة الإخبار القرآني في الدلالة المراد بثها إلى المتلقي من خلال اختيار اقصر أدوات الاستفهام (الهمزة) الموحية بالمسارعة في التنبيه والاتعاظ ، وترتبط معها (كم الخبرية) الدالة على التكثير والموحية أيضاً بضرورة الإسراع بالتنبيه[١٠١] .

والملاحظ إن حلولية الفعل المضارع (يرى) المرتبط بواو الجماعة العائد على الكافرين والمتساوق مع الاستفهام قد أفضى إلى دلالة متشاركة مع الاستفهام، إذ أنه أعطى إيحاء بالتجسيد لحالة الإهلاك الماضية للأمم السابقة، لتومئ لحالة تحذير

مرتبط بتوبيخ وتقريع شديدين، أي: أن الأمم الكافرة لا تتعظ على الرغم من مشاهدتها لحالة الفناء القامعة لشرك الأمم السابقة .

وكذلك جاء في قوله تعالى: (**قُلْ لمَنْ مَا فِي السَّماوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ للَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ**)[١٠٢]، فالنص القرآني يدخلَ المتَلقي في حَالةَ تفكَير فيَ تحديد ماهية الملك الرباني ، ليرتبط بحالة التقرير التي تستند إلى الله (ﷻ)، إذ قال البيضاوي: (وهو سؤال تبكيت (**قُلْ للَّهِ**) تقريراً لهم وتنبيها على انه المتعين للجواب بالاتفاق)[١٠٣] ولكون المسؤول عنَهَ معلوماً بينا عند السائل والمسؤول جميعاً والخصم معترف به ، وبالجملة ثبت السؤال والجواب ، إن الله سبحانه هو المالك على الإطلاق، فله حق التصرف فيها بما شاء[١٠٤] .

إن الاستفهام المرتبط بالفعل (قل) الدال على القوة جاء ليؤكد حالة التقرير مع إدخالها في حالة توبيخ للمعاندين بدلالة (**قُلْ للَّهِ**) التي تذكر حالة الملك وجعلها حالة حتمية غير خافية ولا مستورة، وبهذا فان اَلاَستفهام قد خلق حالة من المحاور الاقناعية ، التي جعلت النص يسير على وفق محاور مترابطة من العلاقات الدلالية الهادفة لرسم إطار موحد .

وكذلك جاء في قوله تعالى : (**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا**)[١٠٥]، إذ تتقدم (الياء) للتنبيه للطرح المهم، والذي جاء به الاستفهام الداخل في باب التقرير الممزوج بالتوبيخ غير القابل للاعتذار بدليل الامتزاج بالاستفهام، ودخوله على الفعل المضارع (**يَأْتِكُمْ**) الحامل للتجسيد الحضوري، وكان الموقف ماثلا أمامهم ليزدادوا لوماً وتقريعاً[١٠٦]، قال أبو حيان الاندلسي: (والاستفهام للتوبيخ والتقريع، حيث اعذر الله إليهم بإرسال الرسل فلم

يقبلوا منهم)[١٠٧] .

التقرير والنفي الإنكاري

الاستفهام في القران الكريم، قد يتداخل فيه النفي بمراحل من التقرير، أي : أن النفي يعود إلى التقرير ، ومنها ورد في قوله تعالى: (**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سمعكم وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَى قُلُوبِكُم مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ**)[١٠٨] إذ أن الفعل (قل) يدلُّ علَى التنبَيه الذي يمهد للاستفهام الذي أعطته (الهمزة) في قوله: (**أَرَأَيْتُمْ**) حدة وسرعة ليدخل في حالة تقرير ودهشة موحية بتهويل وتخويف من تحقق أمر (ممكن تحقيقه) هو ذهاب الأسماع والأبصار لمعاندين الله (سبحانه وتعالى)[١٠٩] .

ثم يأتي الاستفهام الآخر الذي يخفف من حالة التهويل والتخويف ، رغبة في تقريب العبد من ربه (**مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ بِهِ**) يخرج من حالة من النفي والإنكار (لا اله سوى الله يقدر على رد ذلك إليكم إذا سلبه منكم)[١١٠]، وقوله : (**كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ**) فانه تكرار الاستفهام تارة من جهة المقدمات العقلية، وتارة أخرى من جهة الترغيب والتخويف ، وتارة بالتنبيه والتذكير بأحوال المتقدمين[١١١]

ويبدو أن مجيء النفي في حالة الاستفهام هو دعوة للتفكير بعدم وجود مشارك للرب في الإنقاذ، ويظهر أن السبب في ذلك الطرح وفعله ، أن الله جلَّ جلاله يحاول أن يخاطب العقل الإنساني ، حتى يتمَّ ترسيخ الأيمان القلبي والعقلي .

وكذلك جاء في قوله تعالى : (**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ**) [١١٢] فالمعنى : اخبروني إن أتاكم عذاب الله العاجل، إذ يدخل الاستفهام في باب التقرير والتعجب والدهشة من فعل الظالمين[١١٣] . ثم يأتي بأداة استفهام أخرى في قوله تعالى : (**هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ**) التي تدلُّ على معنى مجازي آخر، إذ أن (الاستفهام الإنكاري بمعنى النفي)[١١٤] ليدخل في باب النفي الموجب بتقرير العائد على من يعصي الله (سبحانه وتعالى)، والخطاب موجه إلى

الظالمين، بتحقق العذاب إن بقوا على ظلمهم وطغيانهم .

وجاء أيضاً في قوله تعالى : (**قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَئِنْ أَنْجَانَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**) [١١٥]، إذ أن النص القرآني جاء محملاً بأكثرَ من دلالةَ، جاءَ بها الاستفهام، إذ يقول أبو حيان الاندلسي: (وهو استفهام يراد به التقرير، الإنكار، التوبيخ ، والتوقيف على سوء معتقدهم عند عبادة الأصنام)[١١٦]، وكان اصل الاستفهام عمن ينجي الإنسان من الشدائد التي يبتلى بها في أسفاره في البر والبحر[١١٧]، فمن جانب النفي، هو عدم وجود من يفعل فعل الله (سبحانه وتعالى)، الذي ينجيكم وينعم عليكم بالنجاة[١١٨]، وهو بذلك تقرير لهم لعلمهم بان الله هو المستطيع في كل الأمور، فضلاً عن ذلك تقريع وتوبيخ لهم بعد معرفتهم بهذا وتحققه من قبل الله (سبحانه وتعالى)، وتشركون به ولا تؤمنون[١١٩] .

ثالثا – التعجب

إنَّ التعجب انفعال النفس عما خفي سببه ، والاستفهام لابد له من خفاء سأل عنه، وعندما كان سبب الرؤية خفياً أفاد السؤال عن التعجب، وسمي استفهام التعجب[١٢٠] .

وقد ورد دالاً على التعجب في قوله تعالى: (**قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ انْظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ**)[١٢١]، فالاستفهام في الآية الكريمة يخرج إلى غرض التعجب العام الموجه ليس إلى الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فقط، وإنما إلى العموم غير مرتبط بزمان محدد[١٢٢] . وذلك بدلالة الفعل المضارع (**نُصَرِّفُ**) ودلالة الترجي (**لَعَلَّهُمْ**) الدالة على الاستقبال المرتبط بالفعل المضارع (**يَفْقَهُونَ**) الدال على الشيء ذاته[١٢٣] . فالمعنى : (تحويلها من نوع إلى آخر من أنواع الكلام تقريراً للمعنى، وتقريبا للفهم ، أو تصريفها بالوعد والوعيد)[١٢٤] .

إنَّ أسلوب التعجب الاستفهامي قوي الصلة بالإنكار، ولذا يصحب أسلوب الإنكار

غالباً. ومن الدلالات التي امتزج وتداخل بها استفهام التعجب هي :

التعجب والإنكار التوبيخي

ورد في قوله تعالى: (**قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**)[١٢٥]، والناظر للنص القرآني يرى انه يحتوي على أكثر من أداة استفهام دلَّ عليها بأداة الاستفهام (الهمزة)، وهذه الآية الكريمة عند علماء البيان من باب استدراج المخاطب، وهو أن يلين الخطاب ويمزجه بنوع من التلطف، حتى يوقع المخاطب في أمر يعترف به فتقوم الحجة عليه[١٢٦]؛ فقوله تعالى: (**أَرَأَيْتَكُمْ**) تأتي بمعنى اخبروني، ويدلُّ الاستفهام على معنى الرؤية التي تثير الدهشة والتعجب[١٢٧] أي : اخبروني إن أتاكم عذاب الله كما أتى من قبلكم من تدعون[١٢٨] ؟ ثم يأتي السؤال المعروف سلفاً (**أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ**) ليدخل في باب التقرير الممزوج بالتوبيخ الناجم من عنادهم .

التعجب والتهديد والتوبيخ

وقد ورد دالاً على التعجب والتهديد في قوله تعالى : (**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**)[١٢٩] ويظهر النص القرآني مطروحاً بقوة ، ابتداء من فعل الأمر (قل) المختوم بالسكون الدال على الحدّة ، ليمهد لحالة الاستفهام الدالة على القوة ، إذ يخرج فيها الاستفهام إلى حالة مجازية هي التهديد المرتبط بالتعجب من حالة العناد والمكابرة المنبثقة من الكافرين برغم إهلاك الأمم السابقة ، ليتجسد في النص حالة الخسران التي وقعوا فيها[١٣٠] .

وان ارتباط الاستفهام بالصورة البصرية (**انْظُروا**) قد عمل على خلق تحفيز مضاعف لشدة الاستفهام من خلال خروج الفعل (**انْظُروا**) للتوبيخ والتقريع والتعجب المتساوق مع دلالة الاستفهام المقوي لأثرها الذي يراد بثه للمتلقي[١٣١] .

وكذلك ورد في قوله تعالى: (**انْظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ**)[١٣٢] إذ يتوجه النص القرآني لحالة الإفراد، وإدخال المتلقي في جو من

الحوار المفضي إلى الإقناع[١٣٣] .

وإن أداة الاستفهام (كيف) المرتبطة بحالة إخبار عن تكذيب الكافرين، لتمتزج مع الاستفهام المتواشج معها الذي طرحته الأداة (كيف) والموحية بالحالة والخارجة إلى اطر مجازية تقتضي إلى التعجب من كذبهم الصريح من حالة الإنكار لفضائل الله سبحانه وتعالى، ولتمتزج بتوبيخ قاسي وتهديد لهم، كشف عنه جملة الأخبار **(وضَلَّ عَنْهم ما كانُوا يفْتَرون)** ٠

رابعاً – الاستبعاد

وقد ورد هذا الغرض في قوله تعالى : **(بَديعُ السَّماوَات وَالْأَرْض أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صاحبَةٌ وخَلَقَ كُلَّ شَيءٍ وهُوَ بكُلِّ شَيءٍ عَليم)** [١٣٤]، إذ تتقدم لفظة **(بديع السَّماوات)** النَص القرآني لتعطي بعداً إيحائياً لعظمة خلق الله سبحانه وتعالى، للتَمهيد لنفي مقَولة النصارى **(يكون لَه ولَدٌ)** فالاستفهام خرج إلى غرض مجازي هو الاستبعاد الذي يصل درجة النفي ، أي : نفي المصاحبة ، بدلالة قوله: **(ولَم تكن لَه صاحبَةٌ)** التي تعطي القوة في الاستبعاد والنفي[١٣٥]، وأداة الاستفهام في النص تأتي بمَعنى (كيف) أي : كيف يكون له ولد وليس له زوجة [١٣٦]، أو بمعنى (من أين) يكون له ولد، والولد لا يكون إلا من صاحبة[١٣٧].

الخلاصة:

بعد هذا التجوال في رحاب سورة الأنعام، والتداخل الدلالي فيها، وهي جزء من كتاب الله الكريم، الذي عبر عن القيم الحضارية والإنسانية الذي (**لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ**)[١٣٨] أرى من الأَهَمية أَن أقفَ وقفة تأمليَة، استَخلص منَ خلالها أهم ماَ توصل إليه البحث.

١- إن أكثر أدوات الاستفهام استعمالا في السورة هي (الهمزة) تأتي بعدها (من).

٢- وردت في الآية الواحدة أكثر من أداة استفهام، سواء أكانت حرفاً أم اسماً .

٣- قد تخرج أداة الاستفهام إلى أكثر من دلالة في الآية الواحدة، وهذا ما أشار إليه أكثر المفسرين، إذ تأتي الأداة للإنكار أو التوبيخ، وقد يكون الإنكار ممزوجا بالتعجب أو التقرير، وكذلك التوبيخ .

٢- وجدت أن أدوات الاستفهام ذات دلالات واسعة في بيان النص القرآني ، وقد كان للإعجاز القرآني (السياق) أثر مهم في بيان دلالة النص، وهذا إن دلَّ على

شيء فإنما يدلُّ على بلاغة القران الكريم.

Abstract

This study try to explain how the structure of the sentence change from the style to anther to make new significances and how the text of the Quean to take a wide meaning after the open significance written in the text and looking for the reader and also study the types of styleand how the reader understand this kind .when explain indirect way.

الهوامش

١- ينظر : أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين : ٣٠٨ .

٢- شرح المفصل :٨١/١ ، وينظر : أساليب الطلب : ٣٠٨ .

٣- ينظر : معجم المصطلحات البلاغية وتطورها : ١٧٨ .

٤- ينظر أساليب المعاني في القران الكريم : ٧٦ .

٥- الإتقان في علوم القران : ١٧٦ .

٦- ينظر : معجم المصطلحات البلاغية : ١٨٣ ، وأساليب الطلب : ٣٠٩ .

٧- لسان العرب : مادة (فهم) .

٨- التعريفات : ١٨ .

٩- ينظر : معجم المصطلحات البلاغية : ١٨١ ، وأساليب المعاني : ٦٦ .

١٠- ينظر : أساليب المعاني : ٧٦ .

١١- ينظر : معاني النحو : ٤ / ١٩٩ ، وأساليب الطلب : ٣١٨ .

١٢- ينظر : مفتاح العلوم : ١٤٨ ، ومعاني النحو : ٤/ ٢٠٣ ، وأساليب الطلب :

٣١٨ ، وأساليب المعاني : ٦٦ .

١٣- ينظر : أساليب الطلب : ٣١٨ .

١٤- ينظر : معاني النحو : ٤ / ٢٠١ ، ومعجم المصطلحات البلاغية : ١٩٣ .

١٥- ينظر : أساليب المعاني : ٧٦ .

١٦- ينظر : معاني النحو : ٤/ ٢٠١ ، وأساليب المعاني : ٧٧ .

١٧- الأنعام : ٢٢.

١٨- ينظر : مجمع البيان : ٤/ ٢٣.

١٩- الكشاف : ٢/ ٨٥ .

٢٠- ينظر : البحر المحيط : ٤ /٩٩ ، والميزان : ٧/ ٤٢ .

٢١- الأنعام : ٣٠ .

٢٢- تفسير البيضاوي : ١/ ٢٩٨ .

٢٣- ينظر : الكشاف : ٣/ ١٧٩ .

٢٤- ينظر : معاني النحو : ٢٠١/٤ ، وأساليب المعاني : ٧٩ .

٢٥- الأنعام : ١٤ .

٢٦- الكشاف : ٢/ ٨٢ ، وينظر : التفسير الكبير : ١٢ / ١٣٣ .

٢٧- ينظر : الميزان : ٢٨/٧ .

٢٨- البحر المحيط : ٤ / ٩٠ ، وينظر : صفوة التفاسير : ١/ ٣٨١ .

٢٩- الأنعام : ٩ .

٣٠- ينظر : تهذيب معاني القران وإعرابه : ١٧٨/٢ ، والميزان : ٧ / ٩٢ .

٣١- ينظر : التفسير الكبير : ١٢/ ١٤٨ .

٣٢- البحر المحيط :٤/ ٩٦ ، وينظر : التفسير الكبير : ١٤٨/١٢ .

٣٣- ينظر : مجمع البيان : ٤ /٢٢ ، وتفسير البيضاوي : ٢٩٦/١ .

٣٤- الأنعام : ٩٣ .

٣٥- ينظر : الميزان : ٧ / ٢٤٠ .
٣٦- مجمع البيان : ٤/ ١٢٣ .
٣٧- صفوة التفاسير : ١ /٤٠٥ .
٣٨- ينظر : أسلوب الاستفهام في القران الكريم : ٤٥ .
٣٩- ينظر : المرجع نفسه : ٤٧ .
٤٠- الأنعام : ١٤٤ .
٤١- ينظر : البحر المحيط : ٢٤٢/٤ ، وصفوة التفاسير : ٤٢٥/١ .
٤٢- أسلوب الاستفهام في القران الكريم :٤٧ .
٤٣- الأنعام : ٥٧ .
٤٤- الأنعام : ١٦٤ .
٤٥- الأنعام : ١٥٨.
٤٦- ينظر : البحر المحيط : ٤/ ٢٥٨ ، وأسلوب الاستفهام في القران الكريم : ٤٧
٤٧- الأنعام : ١٠٩ .
٤٨- ينظر : الكشاف : ١٣٠/٢ ، والميزان : ٢٧٢/٧ .
٤٩- ينظر : الكاشف : ٣/ ٢٣٨ .
٥٠- ينظر : تفسير البيضاوي : ١/ ٣١٦ .
٥١- ينظر : أساليب المعاني : ٨١ .
٥٢- الأنعام : ١١٤ .
٥٣- ينظر : صفوة التفاسير : ١ / ٤٢١ .
٥٤- ينظر : شروح التلخيص : ٢ / ٢٩٦ ، وأساليب المعاني : ٨٠ .
٥٥- الأنعام : ٢١ .
٥٦- ينظر : مجمع البيان :٢٣/٤ ، والبحر المحيط : ٤/ ٩٦ .
٥٧- الكشاف : ٨٤/٢ ، وينظر : البحر المحيط : ٩٦/٤ .

٥٨- ينظر : الميزان : ٤٠/٧ .

٥٩- ينظر : صفوة التفاسير : ١ / ٣٨٤ .

٦٠- الأنعام : ٥٠ .

٦١- ينظر : الكشاف : ٩٥/٢ ، والتفسير الكبير : ١٩٧/١٢ ، وتفسير البيضاوي : ٣٠٣/١ .

٦٢- صفوة التفاسير : ٣٩٢/١ .

٦٣- مجمع البيان : ٤ / ٦٤ .

٦٤- الأنعام : ٧١ .

٦٥- البحر المحيط : ٤ / ١٤٦ ، وينظر : الميزان : ٧ /٢٢ .

٦٦- ينظر : التفسير الكبير : ٢٥/٣ .

٦٧- صفوة التفاسير : ١/ ٣٩٨ .

٦٨- ينظر : الكشاف : ٣٠٨ .

٦٩- الأنعام : ٨٠ .

٧٠- ينظر : مجمع البيان : ١٠٧/٤ ، والتفسير الكبير : ١٣/ ٤٩ .

٧١- ينظر : الميزان : ١٦٦/٧ .

٧٢- ينظر : التفسير الكبير : ٤٨/١٣ ، وصفوة التفاسير : ٤٠٢/١ .

٧٣- الأنعام : ٩٥ .

٧٤- ينظر : الكشاف : ٢٣١/٢ .

٧٥- التفسير الكبير : ١٣ : ٧٧ .

٧٦- ينظر : مجمع البيان : ١٣٠/٤ .

٧٧- ينظر : أسلوب الاستفهام في القران الكريم : ٤٥ .

٧٨- الأنعام : ٨١ .

٧٩- ينظر : الكشاف : ١٠٦/٢ .

٨٠- البحر المحيط : ٤ /١٧٦ .

٨١- الأنعام : ١٤٨ .

٨٢- ينظر : مجمع البيان : ٢٠٧/٤ ، وأسلوب الاستفهام في القران الكريم : ٤٧ .

٨٣- صفوة التفاسير : ٤٢٧/١ .

٨٤- الأنعام : ١٤٣ .

٨٥- ينظر : الكشاف : ١٣٠/٢ ، والتفسير الكبير : ٨٧/١٣ .

٨٦- ينظر: صفوة التفاسير :٤٢٤/١ ، وأسلوب الاستفهام في القران الكريم : ٤٧

٨٧- البحر المحيط : ٤ / ٢٣١ .

٨٨- الأنعام : ١٤٤ .

٨٩- الأنعام : ٥٣ .

٩٠- ينظر : الكشاف : ٩٦/٢ ، والبحر المحيط : ١٤٣/٤ .

٩١- ينظر : الميزان : ٧٨/٧ ، وصفوة التفاسير : ١/ ٣٩٢ .

٩٢- ينظر : أسلوب الاستفهام في القران الكريم : ٤٤ .

٩٣- ينظر : معاني النحو : ٤/ ٢٠١ .

٩٤- ينظر : مفتاح العلوم :٥٥ ، ومعاني النحو : ٤ /٢٠١ .

٩٥- ينظر : مغني اللبيب : ١/ ١٨ ، وأساليب المعاني : ٨٦ .

٩٦- ينظر : الإتقان : ٧٩/٢ .

٩٧- الأنعام : ٩١ .

٩٨- ينظر : التفسير الكبير : ١٣ /٦٠ ، والكاشف : ٢٢٢/٣ .

٩٩- الأنعام : ٦ .

١٠٠-ينظر : البحر المحيط : ٨٠/٤ ، وملاك التأويل : ١٤١ .

١٠١-ينظر : التفسير الكبير : ١٣٣/١٢ ، والبحر المحيط : ٨١/٤ .

١٠٢-الأنعام : ١٢ .

١٠٣–تفسير البيضاوي : ١/ ٢٩٤ ، وينظر : البحر المحيط : ٨٦/٤ .

١٠٤–ينظر : الميزان : ٢٤/٧ .

١٠٥–الأنعام : ١٣٠ .

١٠٦–ينظر : أسلوب الاستفهام في القران الكريم : ٤٦ .

١٠٧–البحر المحيط : ٢٢٥/٤ ، وصفوة التفاسير : ٤١٨/١ .

١٠٨–الأنعام : ١٠٨ .

١٠٩–ينظر : تفسير البيضاوي : ٣٠٦/١ .

١١٠–ينظر : التفسير الكبير : ١٨٩/١٢ ، وصفوة التفاسير : ٣٩١/١ .

١١١–ينظر : تفسير البيضاوي : ١/ ٣٠٦ .

١١٢–الأنعام : ٤٧ .

١١٣–ينظر : الكشاف : ٢/ ٩٣ .

١١٤–صفوة التفاسير : ٣٩١/١ .

١١٥–الأنعام : ٦٣ .

١١٦–البحر المحيط : ١٥٤/٤ .

١١٧–ينظر : الميزان : ١١٢/٧ .

١١٨–ينظر : مجمع البيان : ٨٢/٤ ، وأسلوب الاستفهام في القران الكريم :٤٤

١١٩–ينظر : صفوة التفاسير : ١/ ٣٩٦ .

١٢٠–ينظر : البلاغة والتطبيق : ١٣٢ ، ومعجم المصطلحات البلاغية :١٦١ .

١٢١–الأنعام : ٦٥ .

١٢٢–ينظر : تفسير أبي السعُود :٣٠٦/٢ ، والبرهان في تفسير القران للبحراني : ٤٠/٣ .

١٢٣–ينظر : روح المعاني : ١٧٢/٤ ، وأسلوب الاستفهام في القران الكريم :٤٣ .

١٢٤–روح المعاني : ١٧٢/٤ .

١٢٥–الأنعام : ٤٠ .

١٢٦– ينظر : البحر المحيط : ١٣٠/٤ .

١٢٧–ينظر : أسلوب الاستفهام في القران الكريم : ٤٣ .

١٢٨–ينظر : صفوة التفاسير : ١/ ٣٩٠ .

١٢٩–الأنعام : ١١ .

١٣٠–ينظر : تفسير البيضاوي : ١/ ٢٩٤ ، والبحر المحيط : ٨٦/٤ .

١٣١–ينظر : الكشاف : ٨٢/٢ ، وتهذيب معاني القران وإعرابه : ١٧٦/٢.

١٣٢–الأنعام : ٢٤ .

١٣٣–ينظر : صفوة التفاسير : ٣٨٤/١ ، وأسلوب الاستفهام في القران الكريم : ٤٢ .

١٣٤–الأنعام : ١٠١ .

١٣٥–ينظر : تهذيب معاني القران وإعرابه : ٢١٠/٢ ، ومجمع البيان :١٤٠/٤ .

١٣٦– ينظر: تهذيب معاني القران وإعرابه : ٢١٠/٢ ، وصفوة التفاسير :١/ ٤٠٨ .

١٣٧ – ينظر : تهذيب معاني القران وإعرابه : ٢١٠/٢ ، وأسلوب الاستفهام في القران الكريم : ٤٦ .

١٣٨ – فصلت : ٤٢ .

المصادر والمراجع

- القران الكريم .
- الإتقان في علوم القرآن / للإمام جلال الدين السيوطي (ث ٩١١ هـ) ضبطه محمد سالم هاشم / دار الكتب العلمية – بيروت –ط ٢ ٢٠٠٧ .
- أساليب الطلب عند النحويين والبلاغيين / د. قيس إسماعيل الاوسي /بيت الحكمة –بغداد / ١٩٨٨م .

• أساليب المعاني في القران الكريم /السيد جعفر السيد باقر الحسيني/مطبعة بوستان كتاب إيران / ط١ ١٤٢٨هـ .

• أسلوب الاستفهام في القران الكريم غرضه – إعرابه / تأليف : عبد الكريم محمود يوسف / مطبعة الشام _ دمشق / ط١ ٢٠٠٠م .

• البرهان في تفسير علوم القران / للبحراني ، مؤسسة الاعلمي بيروت / ط٢ ٢٠٠٦ م.

• البلاغة والتطبيق / الدكتور احمد مطلوب و كامل حسن البصير / وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / جامعة بغداد .

• التعريفات / علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني (ت٨١٦هـ) الدار التونسية للنشر ١٩٧١م.

• تفسير أبي السعود أو إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم / للقاضي أبي السعود بن مصطفى العماد الحنفي / منشورات محمد علي البيضوي / دار الكتب بيروت ط١ ١٩٩٩ م .

• تفسير البحر المحيط / محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الاندلسي (ت٧٤٥) دراسة وتحقيق / الشيخ عادل احمد عبد الموجد والشيخ علي بن محمد معوض / شارك في تحقيقه / الدكتور : زكريا عبد المجيد النوتي والدكتور : احمد النجولي الحجل / دار الكتاب العلمية – بيروت ط٢ ٢٠٠٧.

• تفسير البيضاوي المسمى أنوار التنزيل وأسرار التأويل / القاضي ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥) دار الكتاب العلمية – بيروت – ط٢ ٢٠٠٤

• التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب / للإمام فخر الدين محمد بن عمر ابن الحسين بن الحسن بن علي التميمي البكري الرازي الشافعي (ت ٦٠٤) دار الكتب العلمية – بيروت ط ٢ ٢٠٠٤ .

- تهذيب معاني القران وإعرابه / لأبي إسحاق إبراهيم السري المعروف بالزجاج (ت٣١١هـ) / علق عليه : عرفان بن سليم العشا حسونه /المكتبة العصرية – بيروت /ط١ ٢٠٠٦ .
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي / صححه : علي عبد الباري عطية / دار الكتب العلمية – بيروت – ٢٠٠٥ .
- شرح المفصل / موفق الدين يعيش بن علي النحوي (ت ٦٤٣هـ) المطبعة المنيرية د.ت .
- شروح التلخيص / للقزويني / مطبعة عيسى الحلبي بمصر .
- صفوة التفاسير / محمد علي الصابوني / دار القرآن الكريم / بيروت ط٤ ١٩٨١ .
- الكاشف / محمد جواد مغنية / مؤسسة دار الكتب الإسلامية / مطبعة ستار ط ٤، ٢٠٠٧.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري/ دارا لفكر للطباعة ط١ ، ١٩٧٧ .
- لسان العرب:لابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت٧١١هـ) طبعة مصورة عن طبعة بولاق .
- مجمع البيان لعلوم القرآن / للإمام أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت ٥٤٨ هـ) مطبعة رويال كرافك
- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها / الدكتور احمد مطلوب / مطبعة المجمع العلمي العراقي / د. ت ١٩٨٣ .
- معاني النحو : د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة بغداد ، بيت الحكمة ١٩٨٧ م.
- مغني اللبيب عن كتب الاعاريب : لابن هشام الأنصاري : تعليق : محمد محي

الدين عبد الحميد ، المكتبة التجارية الكبرى مصر، مطبعة المدني – القاهرة .

- مفتاح العلوم /أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي السكاكي (٦٢٦هـ) / مطبعة مصطفى البابي الحلبي / مصر ١٩٣٧م .
- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل / الإمام أبي جعفر بن إبراهيم ابن الزبير الثقفي الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) وضع حواشيه عبد الغني محمد علي الفاسي –دار الكتب العلمية – بيروت ط١ ٢٠٠٦
- الميزان في تفسير القرآن / العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي / تحقيق أياد باقر سلمان / قدم له السيد كمال الحيدري / دار إحياء التراث العربي / بيروت ط١ ، ٢٠٠٦